في الأدعية والأذكار

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

الآيات من 26 - 27

فائدة ضرب الأمثال للنّاس في القرآن

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

أخرج ابن جرير الطبريّ في تفسيره: عن جماعة من الصّحابة: لمّا ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا... أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1] الآيات الثّلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]. وقال قتادة: إنّ الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت، قال أهل الضّلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فنزلت.

المعنى العام

بعد أن بيّن الله تعالى صفات وأحوال المؤمنين في أربعِ آيات، والكفّار في آيتين، والمنافقين في ثلاثة عَشَرَ آية، وأثبت الوحدانية له سبحانه وتعالى وأنّه خالق هذا الكون والحجّة أنّ القرآن الكريم كلامه جلّ وعلا وبيّن في الآيات السّابقة ثواب المؤمن الصّالح الذي يصدّق بما ذكره تعالى في القرآن الكريم، فأجرى مقابلة في هذه الآيات بيّن فيها حال المؤمن المصدِّق الذي يعلم أنّ الله حقّ لا يقول غير الحقّ، والمنافق والكافر الذي يجادل في الحقّ بعد ما تبيّن له، ويماري بالبرهان وقد تعيّن له، فيخرج من الموضوع، ويُعرض عن الحجّة لأنّه ضعيف الإيمان ولا يحمل كلام الله محمل الجدّ. فهو لا يصدّق بأنّ الله هو السميع العليم الخبير الحكيم القادر...

والحياء: خُلُق كريم، بل هو سيّد الأخلاق، يمنع صاحبه من ارتكاب ما يعاب به، ولا يمنعه من أن يفعل الخير وأن يأمر بالمعروف أو يقول به. والحيي هو الذي يستحي أن يفعل ما لا يليق، يستحي أن يفعل ما هو مذموم شرعًا وعرفًا،

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٧- ١٩.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٦- ٢٧.

وفي الحديث: «﴿إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ...﴾»[1] يستحي من عبده أن يرفع يديه أن يردّهما خائبتين.

وفي الحديث: «﴿وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ﴾»[2] والبعوضة: صِغَار البَقِّ، أي: إنّ الله لا يترك أن يضرب مثلًا - أيّ مثل كان- بعوضة فما فوقها. فالحقّ ﷻ يقول: ﴿إِنَّ اللهَ﴾ لا يترك ترك المستحيي ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ بالخسيس والكبير كالذّباب والعنكبوت وغير ذلك. فأمّا المؤمنون فيتيقَّنُون ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، وحكمته: إبراز المعاني اللطيفة (أي اعتبارية، غير ملموسة) في قوالب المحسوسات ليسهّل الفهم، وأمّا الكفّار فيعترضون ويقولون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ﴾ بهذه الأمثال؟ فإنّ الله منزّه عن ضرب الأمثال بهذه الأشياء الخسيسة، فيردّ عليهم أنّ هذه الأمثال سبب لإضلال من ينكرها، وهداية من يؤمن بها، ﴿وَمَا يُضِلُّ﴾ بذلك المثل إلا الخارجين عن طاعته، ﴿الذين﴾ نقضوا العهد الذي أُخذ عليهم في عالم الذَّرِّ، أو مطلق العهد، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الأنبياء والرّسل والأرحام... وغيرها، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتّعويق عن الإيمان، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الكاملون في الخسران، نعوذ بالله من الخذلان.

قال الرّبيع بن أنس في هذه الآية: هذا مثل ضربه الله للدّنيا: إنّ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن، فإذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك، ثمّ تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً...﴾[3].
وقيل إنّ جهة ضرب المثل بالبعوضة أنّها إذا جاعت فَرّتْ وطارت، وإذا شبعت تشقّقت فَتَلِفَتْ، وهكذا الدنيا، إذا فتحها الله عليك طغى الإنسان. قال تعالى: ﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[4].
وقيل ما فوقها يعني الذّباب، وجهة الإشارة فيه إلى وقاحته، حتّى أنّه ليعود عند البلاغ في الذّبّ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أقوال: أحدها: فما دونها في الصّغر والحقارة. والثّاني: فما هو أكبر منها. والثّالث: أنّ فوق البعوضة (على ظهرها) مخلوق أصغر منها رؤي بواسطة المايكروسكوب.

قال بعض السّلف: إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي، لأنّ الله قال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[5] فالأمثالُ صغيرها وكبيرها، يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنّها الحقّ من ربّهم، ويهديهم الله بها.

وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي يعلمون أنّه كلام الرّحمن، وأنّه من عند الله، وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فمن قرأ القرآن بنيّة الهداية - مهما كان دينه -، هداه الله تعالى،

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن سلمان الفارسي، كتاب: أبواب الدعوات، حديث رقم: ٣٥٥٦، وهو حسن غريب.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن سهل بن سعد، كتاب وباب: الرقاق، حديث رقم: ٧٨٤٧، وهو صحيح.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٤) سورة العلق، الآيتان: ٦- ٧.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

ومن تلاه وهو يجادل في آياته مستدلًا به على ما يوافق هواه، أضلّه الله فكان عبدًا لهواه وللأنا -أي نفسه-.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ فقد اختلف أهل التّفسير في معنى العهد الذي وَصَفَ الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصيّة الله إلى خلقه بتوحيده وأمره إيّاهم بطاعته، ونهيه إيّاهم عن معصيته، في كتبه وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك، بتركهم العمل به.

وقال آخرون: بل هي في كفّار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الذي نقضوه: هو ما أخذه الله عليهم في التّوراة من العمل بما فيها، والتّصديق بنبوّة محمد ﷺ عندما يبعث واتّباعه، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارُهم ذلك وكتمانُهم وعلم ذلك عن النّاس، بعد أن عاهدوا الله أنّهم سيبيّنونهُ للنّاس ولا يكتمونه، فأخبر تعالى أنّهم نبذوا هذا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا.

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى هو العهد- ألست بربّكم- الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام الذي وصفه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قيل: المراد به صلة الأرحام والقرابات، لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[2] ورجّحه ابن جرير، وقيل: المراد أعمّ من ذلك، فكلّ ما أمر الله بوصله وفعله قطعوه وتركوه. وهو إشارة إلى دين الله وعبادته في الأرض، وإقامة شرائعه وحفظ حدوده، فهي عامّة في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل، وهو قول الجمهور، والرحم جزء من هذا.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يكفي أنهم على ضلال، إنّما يريدون أن يضلّوا غيرهم.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ هم الذين ينقصون حظوظهم من رحمة الله بأيديهم بسبب معصيتهم له. وكما يخسر الرجل في تجارته عندما يفقد جزءًا من رأس ماله في البيع، كذلك يواجه المنافق والكافر الخسارة يوم القيامة لفقدانهم رحمة الله.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيتين:

١. أنّ الحياء خلق كريم محمود، وهو لا يمنعك من فعل المعروف وقوله والأمر به. أمّا الخوف من المواجهة والذي يقعدك عن فعل المعروف وقوله والأمر به فيسمّى الخجل، وهو خلق مذموم.

٢. الاستحياء في حقّ الله تعالى يأتي بمعنى التّرك، فإذا وصف تعالى نفسه بأنّه يستحي من شيء فمعناه أنّه لا يفعله، وإذا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٢.

قيل لا يستحي فمعناه لا يبالي بفعل ذلك، وقد ورد في الحديث: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[1].

٣. إنّ الخَلْق كلّه أقلُّ من ذرّةٍ من الهباء في الهواء بالنسبة لله، فسيَّان - في قدرته - العرش والبعوضة، فلا خَلْقُ العرش أشقّ وأعسر، ولا خَلْق البعوضة أخفّ عليه وأيسر، فإنّه سبحانه مُتَقَدِّسٌ عن لحوق العُسْر واليُسْر. فإذا كان الأمر بذلك الوصف، فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلًا كما لا يستحي أن يضرب المثل بالعرش فما دونه مثلًا...

٤. يكون ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان ويراد به كشف الغوامض، وتنبيه الأذهان إلى الحقائق، وإبانة المصالح، وتقرير الحِكَمِ البالغة، وهو من الأمور المستحسنة في التّربية والتّعليم.

٥. الله تعالى لا يُضلّ بكتابه من يطلب الهداية.

٦. هذا الكتاب لقومٍ شفاءٌ ورحمة، ولآخرين شقاءٌ وفتنة.

٧. التّحذير من الفسق وما يستتبعه من نقض العهد، وقطع الخير والأرحام ومنع المعروف قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»[2].

٨. فعل الكبائر وقطع الأرحام والخلف بالوعد والإصرار على ذلك من غير ندم ولا توبة سبب لاسوداد القلب وإنكار الحقّ ورؤية الحقّ باطلًا. وقيل: الإصرار على الكبائر بريد الكفر.

٩. إذا ورد الحياء في حقّ الله تعالى، فليس المراد منه مشاعر الخوف من مواجهة الموقف، فذاك يسمّى الخجل، فهذا لا يليق بالله تعالى الذي ليس كمثله شيء، بل المقصود ترك الفعل الذي هو غايته. وكذلك ليس المراد بالغضب في حقّ الله تعالى شهوة الانتقام وغليان دمّ القلب كما يحصل للمخلوق جَلَّ وتنزَّهَ الخالقُ عن هذا كُلِّه، بل المراد هو ما ينتج عنه، وهو إنزال العقاب بالمغضوب عليه.

في الأمر والنّهي

- **العمل بالآيات:**

تذكّر العهد الذي قطعْتَهُ على نفسك وأخّرت الوفاء به، وبادر إلى تحقيقه كي لا تكون ممن قال الله تعالى فيهم:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾.

يُستحب الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم قبل القراءة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3]، وذلك حتّى لا يتمكن الشيطان من التأثير على العبد بما يمنعه من فهم معاني آيات القرآن الكريم فهمًا سليمًا. حيث وصف تعالى القرآن الكريم بقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾.

في الأخلاق والآداب

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرّحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١.

في الآية دليل على أنّ الوفاء بكلّ عهد جائز إذا ألزم المرء به نفسه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٤]، فلا يَحِلُّ للمؤمن نقضُ العهد، سواء أكان بين مسلم ومسلم أم كان بين مسلم وغيره، لِذَمِّ الله تعالى مَنْ نَقَضَ عهده، فقد قال لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[١] فحذِّرهُ من غدر ونقض عَدُوِّه للعهد.

الحكمة: أنوارٌ أُذِنَ لها في الوصول، وأنوارٌ أُذِنَ لها في الدّخول، ربّما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوًّا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت[٢]. فحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

هناك أنوارٌ أُذِنَ لها بالوصول، وأخرى أُذِنَ لها بالدخول. قد تأتي إليك هذه الأنوار، لكنّها تجد قلبك مليئًا بصور الأشياء الدنيوية فلا تجد لها مكاناً تستقرّ به فتعود من حيث أتت.

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ وصل أسباب الحقّ يكون بقطع أسباب الخَلْق، ولا يتمّ وصل مَا لَهُ، إلّا بقطع ما لَكَ، فإذا كان الأمر بالعكس كان الحال بالضّدّ. لذا أرشدك لقطع العلائق الدنيوية: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣]. الله تعالى هو سبب سعادتك في الدّنيا والآخرة، فإن أردت الوصول إلى الله، فاقطع العلائق من قلبك، واجعل قلبك كلّه مع الله تعالى.

ومِنْ نَقْضِ العهد الإشارة إلى أن يحيد سِرُّك لحظةً عن شهوده، ومِنْ قَطْع ما أُمِرتَ بِوَصْلِه أن يتخلل أوقاتك نَفَسٌ لحظِّك دون القيام بحقّه، ومِنْ فسادِكَ في الأرض ساعة تجري عليك ولم تَشهدهُ فيها. ألا إنّ ذلك هو الخسران المبين. إنّ الله لا يترك أن يُظهر مثلًا من أنوار قدسه بارزًا بقدرته، مرتديًا برداء حكمته، ملتبسًا بأسرار ذاته، مَكسُوًّا بأنوار صفاته من الذّرة إلى مالا نهاية له، فتجلّياتهُ في النّملة هي تجلّياته في الفيلة، فأمّا الذين صَدَّقُوا بتجلّي الذّات في أنوار الصّفات، فيقولون: إنّه الحقّ فائضٌ من نور الربوبيّة، محتجبًا برداء الكبرياء وسبحات الألوهيّة. وأمّا الجاحدون لظهور نور ذات الربوبيّة فينكرونه في حال ظهوره، ويقولون: ماذا أراد الله بهذه العوالم الظّاهرة؟ فيأتي الجواب بأنَّ الحقّ تعالى: كأنّهُ يقول لجميع خَلْقِهِ أرَدْتُ ظهورَ قدرتي وعجائِبَ حكمتي، ليظهر سرّ ربوبيّتي في مظاهر عبوديّتي. فعلينا قراءة أسماء الله الحسنى وتجلّياتها في كلّ شيء.

في الإعجاز العلميّ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.
(٢) ابن عطاء الله السكندري.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

إن المعنى وراء ضرب الله لهذا المثل هو بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته في توضيح المعاني وتقريبها إلى أذهان النّاس باستخدام المشاهد التي يشاهدونها بأعينهم ويشعرون بها بحواسهم. فهو يضرب الأمثال بالأشياء الملموسة التي تحيط بهم، ليكون التأثير أبلغ وأعظم.

إنّ التمثيل بالبعوضة الصغيرة يرمز إلى صغر حجم المنافقين والمشركين وهوانهم على الله سبحانه وتعالى، فمهما تعاظمت قوّتهم أو عظمت مكانتهم، فإنّهم عند الله سبحانه وتعالى أصغر من البعوضة. كما أنّ هذا التمثيل يرمز إلى حقارة الدنيا وما فيها، فهي زائلة ولا تساوي عند الله جناح بعوضة. ولو كانت لها قيمة عند الله، لما سقى الله الكافرَ منها شربة ماء.

ومن العجيب في البيان القرآنيّ أنّ الله قد استخدم كلمة "بعوضة" مع الضمير "فوقها" في صيغة التأنيث، وذلك في توافق تامّ مع الواقع الذي اكتشفه العلم فيما بعد. فقد اكتشف أنّ أنثى البعوض هي التي تتغذّى على الدم وتنقل الأمراض، في حين أنّ الذَّكَر ليس لديه أجزاء فمية حادة لثقب الجلد. هكذا يقدّم القرآن اللفظ بما يتناسب مع الواقع العلميّ، قبل أن تكتشفه الأجيال.

وقد كشف العلم الحديث عن كائنات دقيقة، مثل البكتيريا، الفطريات، الفيروسات، والطفيليات، التي تماثل البعوضة أو تفوقها في الخطورة وتقلّ عنها في الحجم. هذه الكائنات الدقيقة لم يكن بمقدور الإنسان التعرّف إليها قبل اختراع المجهر في القرن السابع عشر على يد فان ليفينهوك.

لطالما استهان الناس عبر الأجيال بالبعوضة لصغر حجمها، فاستنكر عليهم القرآن استهانتهم بها في تعبير معجز بليغ يشير إلى خطورتها، ويأخذها مثلاً يتحدّى به النّاس قبل أن يُعرف دورها في نقل الأمراض.

وإذا أخذنا معنى قوله سبحانه **"فما فوقها"** - أي ما فوق جسم البعوضة - فقد وُجدت كائنات دقيقة أصغر من البعوضة تعيش فوق جسمها من الخارج تفترس البعوضة وتقتلُها مثل: الفطريات. وإذا تدَبَّرْنا معنى **"فما فوقها"** بأنّه أكبر منها في الحجم، فإنّنا سنجد أن البعوضة ترتبط بعلاقات معقّدة مع الكائنات مثل الإنسان والحيوان وغيره.

ومن الإعجاز، قال: العبرة ليست بالحجم والشكل، فالبعوضة على صغر حجمها فيها من إبداع الخالق ﷻ ما يذهل الألباب، وهذه بعض الحقائق:

١. إنّ في رأسِ البعوضة مئةَ عين، ولو كُبّر رأسُ البعوضة في المجهر الإلكتروني لرأينا عيونَها المئةَ على شكل خليّة النحل، وفي فمها ثمانيةٌ وأربعون سنًّا، وفي صدر البعوضة ثلاثةُ قلوب: قلبٌ مركزيّ، وقلبٌ لكلّ جناح.
٢. تمتلك البعوضة جهازًا لا تمتلكه الطائرات الحديثة، وهو عبارة عن مستقبلات حرارية؛ حيث إنّ البعوضة لا ترى الأشياء بأشكالها وألوانها، بل بحرارتها، وحساسيّة هذا الجهاز واحد بالألف من درجة الحرارة المئوية.
٣. تمتلك البعوضة جهازًا لتحليل الدم، فليس كلُّ دمٍ مناسبًا لها؛ فقد ينام طفلان على سرير واحد، وفي الصباح تجد جبين أحدهما مليئًا بلسعات البعوض، وأما الثاني فلا تجد أثرًا للسعات البعوض عليه.
٤. تمتلك البعوضة جهازًا للتخدير؛ فهي تُخدّر موضع اللسع حتى لا يشعر بها الشخص فيقتلها أثناء امتصاصها للدم، وعندما يزول أثرُ المخدّر يشعر الشخص بألم اللسع.
٥. تمتلك البعوضة جهازًا لتمييع الدم الذي تمتصّه من الإنسان، حتى يتيسّر له المرور عبر خرطومها الدقيق، ولتمنع تخثّر

الدم في منطقة الاقتصاص عندما يفرز الجسم إنزيمات التخثّر.

٦. للبعوضة خرطومٌ فيه ستّةُ سكاكين: أربعُ سكاكين تُحدث في جلدِ الملسوع جرحًا مربّعًا يصل إلى وعاءٍ دموي، والسكينتان الخامسةُ والسادسة تلتقيان لتكوّنا أنبوبًا لامتصاص الدم.

٧. البعوضة مُزوّدة بجهازِ شمّ، تستطيع من خلاله شمَّ عرق الإنسان من مسافةٍ تصل إلى ستين كيلومترًا.

٨. في أرجل البعوضة مخالبُ تستخدمها إذا أرادت الوقوف على سطحٍ خشن، ولها محاجم إذا أرادت أن تقف على سطحٍ أملس.

هذا بعضُ ما في البعوضة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

في أشراط السّاعة

اختفاء التّعامل بالنّقدين

من العلامات الصّغرى التي تحدّث عنها رسول الله ﷺ نقض العهد، وما يقع من العبث الاقتصاديّ بالنّقدين (الذّهب والفضّة) وتداولهما، وهما أساس التّنمية الماليّة المتداولة عبر التّاريخ الإنسانيّ كلّه، والتحوّل عنهما للتعامل ببطاقات الائتمان، ممّا يسهّل لأعدائنا أن يسيطروا على مقدّراتنا.

ولعلّ المقصود بنقض العهد مخالفة الشّريعة في كافّة الشؤون، فقد عمّ الرّبا حتّى بلغنا غباره، وانتشر الزّنا وعبادة غير الله تعالى، والجَوْر في الأفعال، واتّباع الشّهوات، وهذا غاية الفساد. كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

في الأدعية والأذكار

سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن شدّاد بن أوس، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، حديث رقم: ٦٣٠٦.